

**المدارس البدوية والسياسة التعليمية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر
حالة بلاد النمامشة (1896-1902)**

**Nomadic Schools and French Colonial Educational Policy in Algeria: A Case Study
of the Nememcha Region (1896-1902)**

فيسل مبرك

المركز الجامعي بريكّة (الجزائر)

fayssal.mabrak@cu-barika.dz

جمال الدين سعيدان *

جامعة سوق أهراس (الجزائر)

d.saidane@univ-soukahras.dz

الملخص:

معلومات المقال

تُعدّ تجربة المدارس البدوية في الجزائر أواخر القرن التاسع عشر إحدى أبرز محاولات الإدارة الفرنسية لتكييف السياسة التعليمية مع واقع المجتمعات الرعوية. فبعد المراسيم التنظيمية لسنة 1883 و1892، أنشأت السلطات نموذج "الخيمة-المدرسة" كمدرسة متنقلة قصد تقريب التعليم الفرنسي من الأهالي الرّحل وربطه بمسعى "الإدماج والرسالة الحضارية". غير أنّ هذه التجربة، والتي طبّقت في بلاد النمامشة بين 1896 و1902، كشفت عن فجوة واضحة بين الخطاب الاستعماري والواقع الفعلي، فقد واجهت المدارس البدوية صعوبات جوهرية، أهمها الطبيعة المترحلة للمجتمعات البدوية وضعف الإمكانيات المادية والبشرية لهذا النموذج التعليمي، ومنافسة التعليم التقليدي والخصوصيات الثقافية للقبيلة. ونتيجة لذلك بقي أثرها محدوداً وانتهت التجربة إلى الإلغاء والتحويل التدريجي لتعويضها بفتح مدارس مستقرة، مما يبين أنّ المدرسة الاستعمارية كآلية فشلت في تحقيق إدماج فعلي في هذه المجتمعات ويكشف حدود تأثير السياسة التعليمية الاستعمارية في الجزائر.

تاريخ الارسال:

2025/10/05

تاريخ القبول:

2025/11/01

الكلمات المفتاحية:

- ✓ المدارس البدوية
- ✓ السياسة التعليمية
- ✓ الجزائر المستعمرة
- ✓ قبيلة النمامشة

Abstract:

Article info

The experiment of nomadic schools in late nineteenth-century Algeria represents one of the most significant attempts by the French colonial administration to adapt its educational policy to the realities of pastoral and tribal societies. Following the regulatory decrees of 1883 and 1892, the authorities established itinerant schools aimed at integrating nomadic populations within the framework of colonial education. The case of the Nememcha tribe (1896-1902) illustrates both the colonial ambition to control indigenous society through education and the resistance of local communities to cultural assimilation, highlighting the tension between imperial educational strategies and the persistence of traditional modes of life in colonial Algeria.

Received:

05/10/2025

Accepted:

01/11/2025

Key words:

- ✓ Nomadic Schools
- ✓ Educational Policy
- ✓ Colonial Algeria
- ✓ The Nememcha Tribe

في سياق حمى سياسة تعليمية استعمارية فرنسية في الجزائر منذ نهاية القرن التاسع عشر، باعتبارها رهان وأداة الدمج الثقافي- الحضاري والهيمنة، والتي عبرت عنها مراسيم 1883 و1892، شهدت السياسة التعليمية الفرنسية تجاه الأهالي محاولة تكييف المدرسة مع خصوصيات واقع المجتمعات البدوية عبر ما عُرف بـ «المدارس البدوية» كمبادرة تعتبر نموذجاً مبتكراً داخل تصور حضاري استعماري استقراري معادي للبداءة حاول التأقلم مع خصوصيات نمط البداءة والحياة الرعوية والخصوصيات الثقافية لهذه المجتمعات. وفي هذا الإطار تشكل تجربة هذه المدارس في بلاد النمامشة¹ في الفترة (1896-1902) نموذجاً يفحص مدى التباين الذي ألفناه في السياسات الاستعمارية بين الخطاب الرسمي الذي تبرزه النصوص القانونية والواقع الفعلي، بما يتيح دراسة حدود هذه السياسات داخل المشروع الاستعماري وأثرها في البنى الاجتماعية والثقافية للمجتمعات البدوية. ومن هنا تنتبثق إشكالية البحث: هل مثلت المدارس البدوية في قبيلة النمامشة أداة فعالة في السياسة التعليمية الفرنسية ووسيلة ناجعة في إدماج ثقافي- حضاري للأهالي، أم أنها تحولت إلى تجربة محدودة التأثير كشفت عن فشل السياسة التعليمية الاستعمارية في التكيف مع النمط البدوي والمجتمعات القبلية المحلية وبنائها الثقافية؟

1. التوجهات العامة للسياسات التعليمية الفرنسية في الجزائر

1.1. المرحلة الأولى إلى 1892

إلى 1890 غابت سياسات ومخططات واضحة ومتبعة للتعليم الفرنسي في الجزائر، فخلال السنوات العشرين الأولى لاحتلال الجزائر (إلى 1850) سادت مرحلة لاكثرث بالتعليم (Collot, 1987, p. 314) والتي شهدت حسب ألكسيس دي توكفيل، رئيس لجنة التحقيق في 1847، حدوث انحطاط كامل للتعليم التقليدي بسبب الاضطراب السياسي وأكثر منه بسبب حرمان التعليم من المورد المالي من خلال مصادرة أملاك الأوقاف بنص 1843 وأملاك الزوايا والمرابطين بنص 1848 (أجيرون، 2007، الصفحات 582، 584؛ Collot, 1987, p. 314)

مع جزائر الجمهورية الثانية وابتداء من 1850 صدرت المراسيم التي تنظم التعليم العربي الفرنسي، حيث جاء مرسوم 14 جويلية و 06 أوت 1850 بتأسيس المدارس الابتدائية العربية-الفرنسية وبمجانبة التعليم الابتدائي، هذه المدارس الابتدائية التي أقر تمويلها في نطاق الحكم العسكري (الذي يشمل البدو أيضاً) من عائدات السنتيمات المضافة (M.P.Ménerville, 1867, pp. 367, 368)، أتبعته بإنشاء مدارس ثانوية منذ 1857: بالمدرسة السلطانية impérial الفرنسية العربية بالجزائر ثم مدرسة قسنطينة التي

¹ النمامشة كنفدرالية قبلية مكونة من قبائل البرارشة والعلالونة وأولاد رشاش والممتدة خلال فترة الدراسة على البلدية الأهلية تبسة (بالنسبة للبرارشة والعلالونة) والبلدية الأهلية خنشلة بالنسبة لأولاد رشاش.

أقر فتحها في 15 ديسمبر 1866، وكانت الشهادات فيها معايير للتوظيف في وظائف إدارية وغيرها (bulletin, 1866, p. 615; M.P.Ménerville, 1867, p. 371). أما فيما يخص التعليم المسلم (الأهلي أو التقليدي) فقد صدر في 30 سبتمبر 1850 مرسوم أقر السماح باستمرار نمط المدارس المسلمة الموجودة مع وضع نظام رقابة لها ولمعلمي المدارس القرآنية، ومن أجل ذلك صدر مرسوم 6 أكتوبر 1852 الذي كرس نظام الترخيص الذي يسمح بمراقبة مستخدمي التعليم والمدارس القرآنية (M.P.Ménerville, 1867, pp. 369,370).

مع الجمهورية الثالثة استمر نفس النمط في التعليم العربي-الفرنسي، كما تم تبني سياسة المراقبة للمدارس المسلمة التي أقرتها الجمهورية الثانية واتبعتها الإمبراطورية الثانية، لكن بنظام تشديد صارم وعقابي كرسه قانون الأهالي، ففي سياق حكم مدني وثورة 1871 وابتداء من 1875 برز تصلب وتشديد أكثر من السلطات، فبتعليمية 22 مارس-ماي 1877 أقرت السلطة منح الرخص للطلبة Tolbas بشكل ظرفي وبعد تحقيق مع سحبها من الطلبة الأجانب أو الذين يدرسون بجوار المدارس الفرنسية، وابتداء من 1881 تاريخ صدور قانون الأهالي دعم هذا النظام بمراقبة فتح مؤسسات التعليم كما نص على عقوبات زجرية على الأهالي الذين يرسلون أبناءهم لمدارس غير مرخصة (Collot, 1987, pp. 316,317).

2.1. المرحلة الثانية بعد 1892: مرحلة التوسع

يهيمننا أساسا سياق هذه المرحلة، فمنذ 1879 أقدم جول فيري على إصلاح التعليم الفرانكو-إسلامي، معبرا عن توجه نشر التعليم وإدماج السكان الأهالي بواسطة المدرسة الابتدائية الفرنسية، وأدى ذلك إلى بعث سياسة ومرحلة جديدة ترجمت في أنصار جول فيري كتيار، عبر عنها صدور مرسوم 13 فيفري 1883 الذي نظم التعليم في الجزائر وتعليم المسلمين من خلال إرسائه قواعد تعليم ابتدائي مجاني وإجباري ولائكي مفتوح للأهالي من خلال نموذج مدارس ابتدائية مشتركة متطابقة في برنامجها مع البلد الأم، وعبر بذلك عن سياسة إدماجية هي مزعومة حسب أجيرون (أجيرون، 2007، الصفحات 619, 620).

كان مرسوم 1883 واقعا في سياق فترة بدأ التعليم يأخذ شكله النهائي في فرنسا (1880 إلى 1890)، وبذلك أُرِدِف بصدور قانون 30 أكتوبر 1886 الذي ينظم التعليم الابتدائي فيها والذي نص في المادة 68 منه على أنه سار أيضا على الجزائر بالإضافة إلى مستعمرات أخرى، ورغم ذلك لم يظهر تطبيقه في الجزائر إلا بصدور مرسوم 18 أكتوبر 1892 والذي على قدر كبير من الأهمية باعتباره نظم وميز بين التعليم الرسمي الموجه للأهالي والأوروبيين والتعليم الخاص.

1.2.1. مرسوم 18 أكتوبر 1892

1.1.2.1. تنظيم التعليم الرسمي

أنهى المرسوم كل تمييز بين التعليم الابتدائي الموجه لأطفال الأوروبيين وذلك الموجه لأطفال الأهالي، مما عنى ولو نظريا التوجه نحو الدمج، كما تضمن أيضا (المادة 02) إلزامية فتح مدارس في كل بلدية والتي

هي مجبرة (المادة 27) على تحمل نفقات الإنشاء التي أشارت إليها المادتين الأولى والثانية من هذا المرسوم، وحيث فتح المدرسة العمومية للأهالي دون تمييز بينهم وبين الفرنسيين والأجانب (المادة 03) فإنه أقر (المادة 04) اللائكية وضمان حرية ضمائر التلاميذ الأهالي (Robert Estoublon, 1896, pp. p.708, 944, 945).

2.1.2.1. تنظيم التعليم الحر أو الخاص

أخضع المرسوم التعليم الحر -الخاص إلى نظام الرخص، والذي استمر إلى 1943-1944، وقد صمم هذا النظام من أجل تجنب منافسته للمدارس العمومية، وميز بين: (أ) نظام المدارس الخاصة المسيحية من طرف الأوروبيين والمفتوحة فقط للمسلمين، (ب) نظام المدارس الخاصة الإسلامية وهو نظام مدارس مؤسس ومسير من طرف المسلمين أو اليهود ويستقبل أبناء المسلمين أو اليهود، والذي تظهر خطوطه العريضة في إخضاع فتح المدارس أو تسييرها إلى ترخيص يخضع لإجراءات موافقة معقدة، أما في ما يخص العمل فقد أخضعت المدارس المسلمة ومديروها إلى رقابة وتفتيش والزامات خاصة، وكل مخالفة يعاقب عليها قانون الأهالي. أيضا نص المرسوم على أنه عندما تكون المدرسة مفتوحة على مسافة أقل من 03 كلم من المدرسة العمومية للذكور فإنها لا يمكن أن تستقبل أطفالا في سن التمدرس من 06 إلى 14 سنة خلال ساعات تدريس قسم المدرسة العمومية، أيضا فإن قانون الأهالي منذ 31 ديسمبر أقر الزجر والزامية تردد الأهالي على المدرسة العمومية الرسمية، (Collot, 1987, pp. 319, 320; Robert Estoublon, 1896, pp. 947, 948). في إطار هذه التشريعات نفحص واقع تطبيقها في بلاد النمامشة.

2. الواقع التعليمي في بلاد البدو النمامشة وسياق إنشاء المدارس البدوية

1.2. واقع التعليم التقليدي في القبيلة إلى 1890

وحيث استقر جهاز عسكري في تبسة منذ 1851، فإن كل تقارير خمسينات وستينات القرن 19م أجمعت على أن واقع التعليم الأهلي في النمامشة بقي منحصرا في المدرسة القرآنية المستقرة في القرية أو كس؛ التي يدرس فيها أهلي مرخص حامل لشهادة منذ 1858 وبعدد تلاميذ تراوح بين 30 إلى 45 والتي بالتأكيد ضمت أطفال القرية (في سيدي عبيد أيضا تواجدت مدرسة ضمت 45 تلميذ في 1853-1857) (Rapports, 1858)، أما بدو النمامشة فقد كان التعليم السائد فيهم يتم وفق نمط الخيام الشرعية غير المرخصة والتي يدرس فيها طلبة Tolbas هم عادة تلاميذ زوايا عربية ومن الأيالة التونسية، يجمعون أطفال الدواوير تحت خيام متواضعة ترتحل مع القبيلة وتدرس القراءة والكتابة وحفظ آيات القرآن إلى غاية الوصول إلى السن الذي يتركون فيه الدراسة من أجل أعمال الرعي والزراعة.

ساد واقع هذا التعليم الديني البسيط فلا السياق السياسي التمردى ولا بداوة القبيلة كانا سامحين بالرقابة والإشراف والترخيص، ولا نية السلطة كانت حاضرة من أجل تدعيم التعليم القرآني الممارس من الطلبة

Tolbas، ورغم استنساخها خطر هذا التعليم الديني سياسياً فإنها لم تكن قادرة لا على تكوين جهاز مستخدمين تحت إدارتها ولا على التحكم وتسيير التعليم الأهلي (Rapports, 1854-1866).

مع بداية الجمهورية الثالثة والحكم المدني وسياق ثورة 1871 و صدور قانون الأهالي صدرت إجراءات الرقابة الصارمة والعقوبات الجزرية تجاه التعليم التقليدي أحد مخابر التعصب والثورة حسب السلطة الفرنسية، وبذلك جرى أمر القياد بمنع أي مدرسة أو طالب غير مرخص من ممارسة التعليم وإخضاع كل نشاط تعليمي لهذا النظام، وفي هذا السياق جرى الترخيص لـ 20 طالب فقط للقيام بالتدريس ليس في فرق النمامشة (برارشة وعلاونة) فحسب بل ومعهم قبيلتي أولاد سيدي عبيد وأولاد سيدي يحي مع إغلاق مدرسة أو كس المستقرة، مما عني ملمح انحطاط تعليم تقليدي بالمقارنة مع مرحلة الحكم العسكري (Rapport, 1881; Rapport, 22 septembre 1882).

2.2. انعدام تعليم فرنسي في بلاد النمامشة إلى 1890

في عهد الجمهورية ومنذ 1850، أسست مدارس عربية-فرنسية لأطفال المسلمين في المدن الرئيسية، فهل حصل بدو النمامشة نصيبهم من هذه السياسة؟

إلى 1890 تعرفنا المصادر عن غياب مدارس عربية فرنسية في بلاد النمامشة أي انعدام سياسة تعليمية فرنسية تجاه بدو المجال، فالمدرسة العربية الفرنسية الوحيدة التي فتحت في تبسة المدينة في ديسمبر 1854 (Rapport, 1854)، والتي لم ترزتم ملامحها الفعلية إلا منذ 1859 وبدأت بـ 45 تلميذ (كاستل، 2010، صفحة 217)، بقيت تضم حصراً أبناء سكان المدينة وحرّم منها حتى أبناء العائلات القاعدية والزعامات خاصة مع بعدها عن مواطن ارتحال القبيلة (Rapport, 1873)، تفسير ذلك تبرزه لنا التقارير في موضوع إنشاء المدارس العربية الفرنسية في قبائل تبسة من "أنه لا نعتقد أنه من المفيد إنشاء مدارس بهذا النمط في القبائل، وأنه من الصعب جداً إنشاء مدارس عربية فرنسية فيها" (Rapport, 1861)، وبالتأكيد فقد ارتبط ذلك بسياق تمرد خلال مرحلة الحكم العسكري وبدأوة مطلقة للقبيلة والسياق العام لسبعينات القرن 19م الذي شهد تفهقر أوضاع تعليمية نتيجة مناهضة حزب المستوطنين للسياسة التعليمية الإمبراطورية بعد ثورة 1871، فالـ 30 جانفي 1879 مثلاً أكد كشف حول الإقليم العسكري أنه لا توجد لا مدرسة عربية فرنسية ولا إسلامية في البلدية الأهلية تبسة التي ينتمي إليها النمامشة (رفقة قبيلة أولاد سيدي عبيد) (Rapport, 1878-1879)، وفي سياق الثمانينات ورغم حمى السياسة التعليمية فإن الوضعية بقيت على حالها باستثناء التحاق من 2 إلى 4 من أو كس بالمدرسة العربية الفرنسية في تبسة، وفي أولاد رشاش أيضاً أبرزت التحقيقات انعدام وجود أي تعليم رسمي، وباختصار انعدام أي أثر للمدرسة الفرنسية في البدو النمامشة، ويكمن أحد الأسباب الرئيسية لذلك في ما أورده تقرير 1887 من أن الخاصية البدوية للسكان مع غياب التجمعات المهمة لا تسمح أصلاً بأن تنشأ مؤسسة من هذه الطبيعة (Rapport, 1882-1887; Rapport, 1881).

3.2. سياق إنشاء المدارس البدوية

مع غياب أي أثر تعليمي تجاه هذه الجموع البدوية منذ خضوع القبيلة واحتلال المجال، وفي سياق حمى السياسة التعليمية في ثمانينات القرن 19م والتي ترجمتها النصوص القانونية منذ 1883، جرى نقاش حول تصور إنشاء المدارس الابتدائية التي أقرها مرسوم 1883 في المناطق الريفية التي يسكنها الأهالي والبعيدة عن المراكز الأوروبية بشكل سيضطر التلاميذ إلى التنقل على مسافة 20 كلم للوصول إلى المدرسة (Brihmat, 1883, p. 13)، والذي منه جرى اقتراح ضرورة تعميم مدارس تحضيرية préparatoire صغيرة في المناطق الأهلية الريفية المستقرة ضعيفة الكثافة المحيطة بالمدارس المركزية، أي ما سمي بالمدارس الريفية (Bernard, 1884, pp. pp. 193-212). نفس السؤال طرح في القبائل البدوية: كيف يمكن إنشاء مدارس وسط قبائل بدوية رعوية مترحلة على إقليم شاسع وفي حركة خيام دائمة ومتفرقة؟

من أجل الإجابة فإن ماثيو و ترابو Mathieu et Trabut نصحا بإنشاء مدارس الرعاة أو مدارس بدوية والتي هي عبارة عن خيمة-مدرسة متنقلة متأقلمة مع حركة ارتحال البدو تقدم تعليماً لأطفالهم، وعن طريقها يحصل بلوغ الهدف المرجو: "إدخال أنوار حضارتنا والدمج عن طريقها" (Augustin Bernard, tentes chariia 1906, p. 274)، هذا النموذج المقترح يظهر تصوره منطلقاً من ملاحظة الخيام الشرعية التي كان سادتها الطلبة Tolbas والتي كانت تقدم تعليماً قرانياً للبدو داخل خيام متناغمة مع ارتحال القبيلة، والذي يجد سنده القانوني في نصوص 1883 و 1892، فالمدارس البدوية هي أساساً مدارس ابتدائية عمومية موجهة خصيصاً للأهالي من صنف المدارس التحضيرية (الصنف الثالث) أي ذات القسم الواحد، والموكلة إما إلى مساعدين أهالي Adjoints Indigènes أو ظرفياً إلى ممرنين Moniteurs (متحصلون على شهادة الدراسات الابتدائية certificate d'étude primaire)، توضع تحت رقابة مدراء المدارس الأساسية أو معلمي المدارس الابتدائية صنف "أساسي" élémentaire الواقعة في الجوار، وحيث أنشأ نص 1883 مراكز تكوين معلمين كملحقات des cours normaux spéciaux واحدة ملحقة بمدرسة المعلمين للجزائر والأخرى بمدرسة المعلمين لقسنطينة، فإن نص 1892 (المادة 44) أعاد التأكيد على إلحاق مراكز تكوين المعلمين هذه بالمدارس العليا للمعلمين للجزائر وقسنطينة كملحقات تكون موجهة إلى تحضير أهالي لوظائف تعليم بمدة تكوين 03 سنوات (Robert Estoublon, 1896, pp. 946, 947)، هذه الملحقات والتي من بينها مدرسة بوزريعة cours normal de Bouzaréah مثلت بخريجها مصدر جهاز مستخدمي المدارس البدوية في بلاد النمامشة وغيرها، وحيث حمل هؤلاء المعلمون شهادة الأهلية الابتدائية brevet élémentaire أو حتى شهادة الدراسات في الابتدائي، فإنهم زاجوا في هذه المدارس بين التعليم كمعلمين أهالي indigène instituteur (يسمىهم الأهالي مؤدبين) وبين إدارة هذه المدارس كمكلفين (Rapport, 1896).

تعرفنا مصادرنا على بداية تجربة المدارس البدوية منذ الثمانينات، نموذجها المدرسة البدوية لقبيلة أولاد لحوار Ouled Lahouar الجلفة التي أسست في الفترة 1888-1889، والتي قدم حولها M.Scheer تقريراً إيجابياً أي "النموذج المحفز" (Scheer, 1892, pp. 244-250)، إلى ذلك وفي ذات السياق وحيث بقي المجال البدوي للنامشة خالياً من أي مبادرة تعليمية رسمية، فسننتظر سنة 1890-1891 لتظهر المدرسة الفرنسية الأولى من نوعها لتعليم البدو في مجال النامشة: المدرسة التحضيرية المستقرة نقرين المنشأة باقتراح من قيادة الحوز وتحت رعاية الملازم سالامار Sallemard de Rassis نائب درجة أولى في إدارة الشؤون الأهلية لفرع قسنطينة (كاستل، 2010، صفحة 276)، والتي جاءت في سياق إنشاء وتطبيق مخطط دراسات وبرنامج التعليم الابتدائي للأهالي في 1890، والذي سيؤسس لمرحلة التوسع في إنشاء المدارس الابتدائية بعد صدور مرسوم 18 أكتوبر 1892، والهادف إلى فتح بين 60 إلى 62 مدرسة أهلية سنوياً على كل إقليم الجزائر (Bisquerra, 2014, p. 2).

كان اختيار موضع المدرسة في نقرين الواحة البعيدة عن تبسة بـ 123 كلم والواقعة في بداية النطاق الصحراوي للنامشة أين يكون تخييمهم الشتوي، هذا الاختيار من السلطة مرتبط أساساً بالبدوة فنقرين باعتبارها النقطة الإستقرارية الأكثر أهمية في جنوب بلاد النامشة كانت الوحيدة التي أمكن فيها فتح مدرسة مستقرة باعتبار القبيلة في حركة إرتحالية نصف سنوية في المجال المحاذي لنقرين.

منذ افتتاحها في 1 أكتوبر 1890 استقبلت هذه المدرسة التحضيرية والتي عين عليها ممرن أهلي 50 تلميذاً منهم نقارنية ومنهم نامشة بالنظر إلى استقرار عائلات بدوية في الواحة بعد 1871، وحيث ارتفع عدد التلاميذ إلى 70 أي ضرورة إضافة قسم ثانٍ فقد تم تعيين مدرس فرنسي للإدارة والتدريس هو السيد طسطاس، وشرع في بناء القسم الثاني فيها في 1893 ورقيت بذلك إلى مدرسة أساسية ودعمت بمعلمة فرنسية إلى جانب المعلم- المدير الفرنسي وهي السيدة طسطاس (كاستل، 2010، صفحة 276؛ Rappports, 1890-1894).

تهمنا مدرسة نقرين بخصوصيتها ليس في مجال البدو النامشة فحسب ولكن في كل الجزائر، فمنذ إنشائها أصبحت مدرسة نقرين تذكر كنموذج في عديد التقارير واستحقت تهنئة بين المدارس الأهلية، حيث كان تردد التلاميذ فيها نموذجياً وشهدت تطوراً ملحوظاً مع جهود المعلم الفرنسي طسطاس، خاصة بموقعها الجيد وبنائها الملائم الذي مثل مستقراً لطاقم التدريس، هذا النجاح لهذا النموذج الإغرائي وسط البدو مثل عاملاً محفزاً لإيجاد حل لمشكل تعليم النامشة، هذه القبيلة المتحركة التي ترحل منذ نوفمبر نزولاً إلى مجال صحراوي شاسع تتناثر عليه لتمارس حركة رعوية متنقلة وتصعد منذ أفريل إلى مجالها التالي، وحيث وجب نقل أنوار الحضارة حسب المنظور الاستعماري إلى هذه الجموع البدوية التي بلغ تعدادها في 1897: 43633 نسمة (إحصاء يضم النامشة وسكان قصور نقرين وفركان) (Tableaux, 1897)، وحيث تم إجراء التجربة ولم تعد المدارس البدوية شيئاً جديداً بل أصبحت تجلياً لقوتنا كما يقول تقرير خاصة مع سهولة إنشائها وسرعة

تطورها وتوسعها (Bulletin, 1892, pp. 312-313) فإنه وفي هذا السياق كله جاء اقتراح إنشاء المدارس البدوية في بلاد النمامشة من خلال إنشاء 3 مدارس بدوية متنقلة: واحدة في برارشة والثانية في علاونة والثالثة في أ. رشاش، فما هو واقع التجربة؟.

إنشاء المدارس البدوية في برارشة، علاونة وأولاد رشاش

وحيث سجل فائض مالي في رصيد ميزانية 1895 كما بقي رصيد 1896 دون مساس، فإنه بتاريخ 16 جويلية 1896 تم إبلاغ القياد من السلطة بإنشاء 03 مدارس بدوية متنقلة في النمامشة: واحدة في برارشة وسميت أيضا تبسة 01، والثانية في علاونة، والثالثة في أولاد رشاش وسميت أيضا خنشلة 01، وطلب من القياد السعي إلى توفير مكونات بناء الخيام - المدارس على رأسها الفلايح (ج.م. فليج)، بالإضافة إلى أثاثها: زرابي وحصائر ووسائد (Rapport, 1896).

وكما نص عليه مرسوم 1892 من أن بناء المدارس ومنزل المعلم وتجهيزها باللوازم والأدوات المدرسية كان من رصيد الميزانية البلدية والتي معينها الضرائب التي يدفعها الأهالي، فإن المدارس البدوية المنشأة من ميزانية البلدية الأهلية تبسة كانت مكونة من 02 خيام: واحدة للمدرسة وواحدة للمعلم.

-خيمة المدرسة: خيمة عربية مبنية بالفلايح تعرف من بعيد باعتبارها الخيمة الأكثر ارتفاعا واتساعا من بين الخيام وتحوي: طاولة سهلة الطي ك مكتب للمعلم، كرسي سهل الطي، سبورة سوداء، 20 حصيرة لجلوس التلاميذ، كتاب مختصر علم اللغة (العروض)، 40 لوحة من الحطب للكتابة، خريطة فرنسا، خريطة الجزائر، مجسم كرة أرضية، 2 مطاعم لتخزين المؤونة المدرسية.

شملت اللوازم المدرسية ما يلي:

-50 كراس عادي، كراس كبير للمعلم، 2 علب طيشور، 3 كراسات من ورق مقوى، 15 لوحة، 20 حامل أقلام، 12 قلم رصاص، كتاب قواعد عربية (بن سديرة)، كتاب قواعد: اللغة، الكتابة والقراءة، كتاب تاريخ فرنسا، 2 علب أقلام، منبه، 2 علب حبر، 20 مسطرة، سجل مناداة، سجل تسجيل ترقيم، سجل من ملزمة واحدة، سجل ب 3 ملازم، 50 قلم كتابة على اللوح.

-خيمة المعلم: خيمة عربية تحوي اللوازم والأثاث التالي:

- سرير عربي هو عبارة عن زربية صوف (مطرح)، زربية تستخدم لقسم الخيمة إلى 02 غرف، 02 وسائد لوضع لباس النوم كما تستخدم للنوم، 02 وسائد من الجلد تسمى كرابيش أو كراميش لوضع اللباس الصوفي، غرارة، 2 قربة، المرجن، الطنجرة مع الكسكاس، القصعة، 2 مئارد، 13 ملعقة، جلد خروف (مزود) أو إناء طيني لتخزين العسل والزبدة، فأس، 2 مطاعم- (Rapports, 1896-1897; Scheer, 1892, pp. 244-250; Bulletin, 1892, pp. 312, 313).

4.2. التأطير والإشراف على المدارس

بتعليمية عامة من المفتش الأكاديمي بتاريخ 25 سبتمبر 1896 عين المعلم الأهلي مدوحاس الطاهر المتخرج من ملحقة مركز تكوين المعلمين لبوزريعة - ملحقة الجزائر - للتدريس والإدارة في المدرسة البدوية البرارشة، على أن يأخذ عمله ابتداء من تاريخ 16 أكتوبر، وقررت المفتشية في 01 نوفمبر 1896 تعويضه بالسيد أحمد بن علي (رغم ذلك استمر مدوحاس إلى أواخر نوفمبر قبل أن يستبدل بالمعلم أحمد بن علي)، كما عين المعلم لحرش أحمد على المدرسة البدوية للعلاونة، وبوسليمة مصطفى متخرج أيضا من ملحقة مدرسة بوزريعة للإدارة والتدريس في المدرسة البدوية لأولاد رشاش، وبتعليمية جنرال الناحية في 29 سبتمبر 1896 ثبتت التعيينات تحت مسمى: المدارس البدوية: برارشة (تبسة 01)، علاونة، وأولاد رشاش (خنشلة 01) (Rapport, 1896; Rapport, 1896).

وكما ينص القانون ينتمي المعلمون الأهالي في المدارس البدوية إما إلى صنف المساعدين الأهالي adjoints indigènes أو إلى صنف الممرنين moniteurs.

بالنسبة لمدوحاس الطاهر المعلم الأهلي في المدرسة البدوية البرارشة والذي يظهر أنه أصيل ناحية القبائل la Kabylie، فهو خريج مركز دروس المعلمين ملحقة بوزريعة التابعة لمدرسة المعلمين في الجزائر، حاصل على شهادة الأهلية الابتدائية brevet élémentaire بعد تكوين لمدة 3 سنوات، وقد عين كمعلم برتبة مساعد أهلي كما كلف كمدير (Rapport, 1896).

بالنسبة لخلفه محمد بن علي فهو خريج نفس الملحقة وحاصل على شهادة الأهلية الابتدائية، وقد جاء تعويضه السريع من أجل إنجاز التجربة في النمامشة بناء على الخصوصيات التي يتمتع بها هذا المعلم، حيث ولد محمد بن علي في قبيلة بدوية في دائرة الجلفة مما عنى تلاؤمه مع الحياة البدوية وله تجربة تدريس في المدارس البدوية منذ نماذجها الأولى، حيث درس في المدرسة البدوية لأولاد لحوار Ouled Lahouar بالجلفة التي افتتحت في 1888 ووضعت تحت إدارته وأبدى حماسا ومرونة في العمل أثنى عليها المفتش Scheer في زيارته التفتشية للمدرسة، وسافر للمتروبول في رحلة تحفيزية لمدة 15 يوم، وقد خلف المعلم مدوحاس الطاهر في التدريس برتبة مساعد كما كلف بإدارة المدرسة (Bulletin, 1892, pp. 312, 313).

بنفس الشكل ينتمي بوسليمة مصطفى الذي لا نعرف عنه معلومات كثيرة سوى أنه حاصل على نفس الشهادة الأهلية الابتدائية أيضا (Rapport, 1896).

من ناحية التصنيف، يعادل صنف المساعدين الأهالي صنف المساعد الفرنسي المتربص ويخضعون لنفس شروط الترقية، ويقسمون إلى 4 أصناف براتب يبدأ بـ 1200 فرنك ويصل 1500 فرنك، كما يمكنهم أن يحصلوا على منح تعويضية وكذلك تكريمات تشريفية (Robert Estoublon, 1896, pp. 946, 947).

بالنسبة لمعلم العلاونة أحمد لحرش فإنه ينتمي لصنف الممرنين moniteurs وهو صنف أدنى من المساعدين، حاصل على شهادة الدراسات في الابتدائي certificat d'études primaires وهو دبلوم جديد

بشكل خاص يكافئ السنوات المدروسة في الابتدائي أنشئ للأهالي بناء على مرسوم (Rapport, 1883) (1896). يحصل هذا الصنف "الممرنون" على منحة ثابتة سنويا بـ 800 فرنك، يمكن أن يزيد كل 2 سنة بمعدل 100 فرنك إلى حد أقصى بـ 1200 فرنك (Robert Estoublon, 1896, p. 947). عن تكوين هؤلاء المعلمين الأهالي فإنهم يتقنون الفرنسية دليل ذلك رسائلهم التي لا تحمل أي خطأ، أيضا باستثناء المعوض مدوحاس الطاهر الذي لم يستطع تقديم دروس العربية والذي يظهر تكوينه في ملحقة الدروس قد ركز على البربرية، فإن هؤلاء المعلمين زاجوا بين اللغتين العربية والفرنسية- (Rapport, 1896) (1897).

وضعت المدارس الثلاث تحت إشراف مفتشية التعليم الابتدائي لباتنة التي تشرف أكاديميا على كل مدارس الناحية، وبتعليمه 17 أكتوبر أعادت المفتشية التأكيد على أن المدارس البدوية لعلاونة وبرارشة وأولاد رشاش توكل إلى معلمين أهالي، ونبعت إلى ضرورة مرافقتهم من معلم فرنسي وزيارات تفتيش ووجوب قدر الإمكان مراقبتها من معلم نقرين الفرنسي، وحيث ظهرت استحالة إرسال معلم فرنسي للإشراف على المدارس المترحلة فإنه تم إقرار إدارتها بالمعلمين الأهالي عن طريق التكليف، مع دعوة الكومندان وجوبا أن تحظى بمساعدة السلطة العسكرية من أجل السير الحسن والمنتظم لها من خلال قيام الضباط بزيارات دورية (Rapport, 1896; Rapport, 1896; Rapport, 1896).

5.2. الانطلاقة الصعبة للمدارس

نظريا كان على المدارس البدوية في النمامشة أن تبدأ العمل في 16 أكتوبر 1896 إلا أنها أعيقت، وفي 31 أكتوبر كانت الخيام-المدارس جاهزة ومكتملة البناء أما حصائر جلوس التلاميذ ووسائد الجلد وبقية الأثاث فلم يتم توفيره بعد إذ لم يستطع القيادة الحصول عليه من القبائل، أيضا وإلى 12 نوفمبر 1896 كشفت رسالة المعلم مدوحاس الطاهر أن لوازم المدرسة لم تأت بعد وأن الأدوات المدرسية غائبة تماما وأنه لذلك لم يستطيع أن ينشئ القسم، وفي نفس الفترة بعث معلم العلاونة لحرش كشف اللوازم والأدوات المدرسية يطلبها من الكومندان (Rapport, 1896).

عموما، يمكن أن نؤرخ لبداية عمل المدرسة منذ تاريخ استقبال المعدات اللازمة للعمل والتدريس، ويمثل تاريخ 14 و15 نوفمبر 1896 بداية العمل الفعلي للمدرسة، وحيث تظهر الانطلاقة صعبة ومتأخرة بالنظر إلى إشكاليات توفير لوازم وأدوات المدرسة فإن الصعوبات ستطغى منذ البداية (Rapport, 1896).

6.2. نظام التدريس والعطل

بالنسبة للتدريس ونظامه في الخيمة-المدرسة فقد كان التلاميذ يجلسون لتلقي الدروس في دائرة على الحصائر، أرجلهم مثنية على الطريقة العربية ويضعون لوحة قراءة وكراس على ركبهم وتجري الدروس عن طريق تقسيم بين التلاميذ على أساس السن، وكان نظام التدريس الذي تبرزه جداول كشوفات الحضور هو

تدريس التلاميذ نصف يوم (Bulletin, 1892, p. 312)، لكن فحص التقارير الأكاديمية يبرز أن نظام التدريس العام المعتمد في المدارس البدوية كلها مقسم إلى فترتين: صباحية: ممتدة من 6 إلى 9 صباحا، ومساءلية: ممتدة من 15:00 إلى 18:00، مع ملاحظة أن تسجيل الغيابات ومعدل التردد مأخوذ أساسا على تسجيل غيابات نصف اليوم (Scheer, 1892, pp. 244-250).

يتردد التلاميذ على المدرسة وفق هذا النظام ويأذن نفاذ المراعي المحيطة بترك القبيلة تخييماتها ومنها الزمالة التي تتبعها المدرسة، هذه الارتحالات التي تجري بين 02 إلى 03 أشهر تقريبا حيث ينزع المتدرسون رفقة المعلم أوتاد الخيمة-المدرسة ويثنونها وتحمل على ظهر جمل لتبنى من جديد في نقاط التخييم القادمة لتعاود الدروس الانطلاق (Bulletin, 1892, p. 313).

أما بالنسبة للعطل فقد حددت مفتشية باتنة نظام عطلة سنوية للمدارس البدوية في النمامشة والذي تظهره تعليمية 05 ماي 1897 أنه ممتد من 01 جوان إلى 31 أوت (Rapport, 1897) ودخول مدرسي في 01 سبتمبر، مع عطلة إضافية خلال فصل الشتاء جرى اعتمادها منذ ماي 1897 وتم تحديد تاريخها من: 01 ديسمبر إلى 28 فيفري كعطلة إضافية أي في فترة جرى فيها التأكد من صعوبة تردد التلاميذ بانتظام على المدرسة (Rapport, 1897).

7.2. البرامج وطرق التعليم

بالنسبة للبرامج وتوزيع الحجم الساعي للمواد المدرسة في المدارس الأهلية البدوية والمستقرة والذي هو مؤثر على توجه التعليم الفرنسي، فقد وضع المخطط برنامجا استهدف (1) تعليم اللغة الفرنسية باعتبارها أساس تعليم الأطفال الأهالي ورهان الإدماج وناقل الثقافة والحضارة الفرنسية، و(2) تطوير القدرات، ومن هنا هيمنت طبيعيا مواد اللغة والحساب على استعمال الزمن.

فبالنسبة لبرنامج الصف التحضيري الذي أعتبر الأهم باعتباره يستقبل أكبر عدد من التلاميذ ويتطلب أكبر جهدا فقد شمل حجم ساعي بـ 25 ساعة من التدريس الأسبوعي المتضمن مادة اللغة الفرنسية التي يندرج ضمنها تمارين اللغة التي نالت حصة الأسد بـ 09 ساعات باعتبارها في جميع مراحل المدرسة الأهلية محور التعليم لأنها تتيح للتلميذ الأهلي الوصول للشفرة الدلالية اللغوية وأيضا لأن المدرسة الأهلية تختلف عن المدرسة التي تستقبل الفرنسيين، والقراءة بـ 05 ساعات بالإضافة إلى الكتابة والإملاء، ومادة الحساب. هذه المواد التي غطت حجم ساعي بـ 22 ساعة ونصف، يضاف إليها تخصيص ساعة للجغرافيا وساعة ونصف للأشغال اليدوية. أما التاريخ فإنه لا يظهر في القسم التحضيري إلا إذا دخل ضمنا كدرس في القراءة.

أما دروس الصف الأساسي والتي هي بحجم ساعي 30 ساعة، فهي استمرارية للدروس التحضيرية وتحوي نفس موادها مع إضافة لمواد: التاريخ والتربية المدنية بحجم ساعي بلغ ساعة واحدة والتي تكون تحت

شكل سير حياة، ومادة الرسم بساعتين، وتكريس 3 ساعات للأشغال اليدوية (Bulletin, 1892, pp. 322, 323).

-اللغة العربية: لخصوصيات المدارس البدوية وبعدها عن الرقابة الصارمة حظي تدريس اللغة العربية بأهمية خاصة مع معلمها الأهالي، وكان هذا التدريس مثلا في الصف التحضيري يتم عن طريق برنامج يضم القراءة (تضم القراءة دراسة الحروف والحركات ومعرفة تكوين الكلمة) والكتابة والإملاء وفي الصف الأعلى القواعد (Rapport, 1896)، وتكشف لنا قوائم الأدوات المدرسية وجود كتاب اللغة العربية وقواعدها لبن سديرة، وكان تدريسها مضمونا في المدارس البدوية دليل ذلك تغيير مدوحاس لأنه لم يستطع تدريس العربية، وقد تستعمل حتى في تبسيط دروس اللغة الفرنسية لأهالي البيئة البدوية (Rapport, 1896).

8.2. الطرائق البيداغوجية المستعملة

كما وجه مخطط 1890 نقدا للبرامج المعقدة المعدة للتلاميذ لأهالي، فإنه ركز في الطريقة البيداغوجية لتعليم الأطفال الأهالي كمبادئ معلنة على مخاطبة حواس وذكاء التلميذ الأهلي أكثر من ذاكرته وتعويدته على الملاحظة والتفكير وإثارة فضوله، وقد جاءت هذه المبادئ في تعارض مع التعليم التقليدي القرآني، أيضا تركز الطريقة على النشاط الشخصي للمعلم الذي يتوجه لتحفيز ذكاء التلميذ وتنشيط القسم بجعله فضاء لتبادل الأفكار والتواصل بين المعلم والتلميذ- (Bulletin, 1892, pp. 321-322; Scheer, 1892, pp. 244-250).

كمثال لذلك تعليم اللغة الفرنسية، فحيث أقر مخطط 1890 أن اختيار طريقة القراءة يترك للمعلم فإن معلمي مدارس البرارشة والعلونة استخدموا الكتب الأكثر شهرة والتي نصحت بها المجلة البيداغوجية للتعليم والتي تذكر مثلا كتاب I. Carré الذي ينصح بالطريقة المباشرة المسماة "الطريقة الأم" أي الطريقة التي تستعملها الأم عفويا من أجل تعليم الكلام لأطفالها دون اللجوء إلى الترجمة إلا في الحالات القصوى، هذه الطريقة التي تترك الطفل يفكر مباشرة بالفرنسية هي بمثابة الابتكار، أيضا لوحظ، وعكس معلم نقرين الفرنسي، أن معلما المدرستان البدويتان برارشة علونة يركزان وبصفة كبيرة على القراءة وخاصة على اللغة (أي اكتساب اللغة والنطق الصحيح) والتي تعكس من جهة أخرى خصوصية الأهالي، ورغم همهم في التكيف مع خصوصيات التلاميذ الأهالي فإن الكتب حملت نقائص كبيرة فكتاب I. Carré تم نقده في 1898 حيث تظهر إشكاليته في وصف الأشياء بطريقة غير معروفة للتلاميذ الأهالي (Scheer, 1892, pp. 244-250; Bisquerra, 2014, p. 7).

وإجمالا طغت في المدارس البدوية إشكالية تعليم لغة بعيدة عن واقع التلاميذ الأهالي، وحيث عين على المدارس البدوية مساعدون وممرنون أهالي، باعتبار ذلك يستجيب للرغبة في كسب الثقة من سكان مترحلين غير متآلفين مع الأوروبي، فإن هؤلاء المعلمين وإن حملوا شهادات من ملحقات مدارس المعلمين وحاولوا بذل

جمال الدين سعيدان - فيصل مبرك

جهود فقد كانوا متهمين بنقص كفاءتهم البيداغوجية التي تترجم في نقص طريقة التدريس، وإلى كل ذلك نضيف ملاحظته عدم توفر مكتبة.

3. تطور المدارس

1.3. مدرسة العلاونة

بالنسبة لمستوى حضور التلاميذ واستمراريته، كأهم مؤشر لنجاح استقطاب التعليم الفرنسي للبدو النامشة العلاونة، فإن تتبع مراسلات المعلم لحرش لسنتي 1896 و 1897 يعرفنا بالتالي:

جدول 01: كشف تردد التلاميذ في المدرسة البدوية العلاونة خلال الموسم الدراسي 1896-1897:

الشهر	عدد التلاميذ المسجلين في الشهر	الغيابات (عدد الغيابات ل 1/2 يوم في القسم)	موضع المدرسة البدوية	المصدر: تقرير
أكتوبر 1896	24 تلميذ.	لا غياب.	حسي البول	Fréquentation du mois de 31 janvier 1897.
جانفي 1897.	24 تلميذ.	عدد الغيابات للنصف يوم في القسم 04.	حسي البول	Fréquentation du mois de 31 janvier 1897.
فيفري 1897.	- عدد التلاميذ المسجلين في سجل المناداة شهر فيفري: 15 تلميذا. - انخفض عدد التلاميذ خلال الشهر إلى 11 بسبب ارتحال الزمالة حيث بقي اباؤهم بجوار الخليفة	انقطاع 04 تلاميذ خلال هذا الشهر.	غيسران	Fréquentation du mois rapport, 1897 de février le 2 mars 1897.
مارس 1897	11 تلميذ	لا غياب.	غيسران	Fréquentation du mois rapport, 1897 de février 31le mars 1897.
أفريل 1897	11 تلميذ.	00 غياب.	الرعور (larour)	Fréquentation du le 6 mai .mois d'Avril 1897.
ماي 1897.	14 تلميذا	00 غياب.	تازينت	Fréquentation du mois le 31 mai 1897.de mai
جوان 1897	14 تلميذا.	عدد الغياب لنصف يوم في القسم: 28	تازينت	Fréquentation du mois de juin 1897.

La source: ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossierinstruction publique, écolenomade, 1895-1897.

يبرز الكشف أنه في هذه الحركة تبعت المدرسة البدوية الزمالة المتنقلة كل 2 إلى 3 أشهر، مما أدى إلى خسارة نصف المتدربين الذين تراجعوا من 24 مسجل إلى 11 و 14 تلميذا في الفترة الأخيرة للموسم

الدراسي 1896-1897، وكان التخييم والارتحال عائقا فعليا لانتظام تردد التلاميذ على المدرسة، من جهة أخرى عنى 11 تلميذا فقط ضمان تدرس أطفال الزمالة وأساسا أبناء القايد وأبناء أخيه بالإضافة إلى أبناء طالب الزمالة الذين غابوا لوقت ما بسبب التعصب إلا أن المعلم استطاع إعادتهم وإقناع الطالب بالتخلي عن تعصبه وتقريب خيمته من المدرسة لتسهيل تنقل أبنائه (Rapport, 1896)، أما باقي العلونة فبالنظر لتأثيرهم في حركة رعوية بعيدة عن الزمالة فلم يكن بإمكان أطفالهم الوصول إلى المدرسة ومثل ذلك عائقا أساسيا، ورغم دعوات المفتشية العامة لباتتة العمل على زيادة أعداد التلاميذ بالنظر إلى انخفاضه فإن ذلك لم يكن ممكنا.

لخص المعلم لحرش الوضعية بمراسلة في 31 جانفي 1897: "أخبرك أن القسم تمت إعاقة كثيرا بسبب الإخلاءات، تخييم وارتحال الزمالة باستمرار، ففي هذا الارتحال الأخير ضيعت البعض من أفضل تلاميذي الذين تركوا المدرسة للبقاء مع آبائهم الذين بقوا بجوار خليفة القايد، فاليوم لا تحصي مدرستنا سوى 15 تلميذا والأهالي ليس لهم رغبة في إرسال أولادهم للمدرسة" (Rapport, 1897).

إلى عائق الحركة الذي أعاق تطور المدرسة، طغت مشاكل صعوبة الاتصال وتبليغ مراسلات إدارة المدرسة وحاجاتها خاصة عندما يغيب القايد، وتباطؤ جهاز الحوز في بعث مستحقات المعلم بالإضافة إلى انخفاضه: 75 فرنك شهريا، وإشكالية تمويل المعلم بالغذاء والأدوات المدرسية للمدرسة بالنظر إلى بعد مركز الجهاز الإداري فترات الارتحال، كل ذلك يظهر بوضوح صعوبة هذا النموذج المعتمد وعدم نجاحه عند العلونة إذا أخذنا بمؤشر جذب التلاميذ (24 إلى 11 تلميذ من عدد سكان علونة حسب إحصاء 1897 بأكثر من 12 ألف نسمة) (Rapport, 1897; Tableaux, 1897).

2.3. مدرسة البرارشة

في البرارشة، منذ البداية ورغم تغيير المعلم مدوحاس الذي عبر عن رفضه للحياة البدوية وعدم قدرته على مواءمتها، فإن أحمد بن علي المعين الجديد سرعان ما اشتكى في 04 ديسمبر 1897 من وضعيته: "أنا هنا دون أقارب ولا أصدقاء، ما يحيرني ويعيقني في الوقت الحالي هو تغذيتي، أنا لا أستطيع أن أطبخ وأن أقوم بأعمال القسم ولا أرغب في غسل ثيابي، وباختصار، أنا لا أستطيع فعل أي شيء، ولا يسمح لي راتبي بوضع خادم، أدعوك سيدي الكومندان بأن تمنح لي منحة تعويضية من أجل تلبية حاجاتي، وأخبرك أيضا أن الأدوات التي عندي ليس لها فائدة بالنسبة لي، الخيمة العربية، الغرارة، القرية، الطنجرة، القصعة، مئارد، ملعقة، مطعم، هذه الأدوات تخصص لرجل متزوج وأنا لست كذلك، أدعوك لمساعدتي بزيادة راتبي الذي يمكنني من العيش في الحياة البدوية" (Rapport, 1896).

بالإضافة إلى إشكالية عدم تكيف المدرسين مع الحياة البدوية الصعبة وتنقلاتها، فإن نفس عوائق مدرسة العلونة قد طغت: البعد عن المدينة المركز تبسة وارتحال الزمالة جنوبا مما أعاق تزود المدرسة بحاجاتها من

جمال الدين سعيدان - فيصل مبرك

لوازم، صعوبة التمون الغذائي خاصة مع تماطل إداري وعدم وظيفية الأدوات والأثاث المرسل والنقص المستمر للأدوات المدرسية والذي أعاق التدريس، (نقص: كراسات الخط، كراسات الواجبات، والأقلام والألواح)، وغياب المواد الطبية وخلو المدرسة من الدواء (Rapport, 1897)، حيث ظلت المدارس البدوية تعاني باستمرار من نقص هذه اللوازم وعبر المعلم عن استحالة إكمال التدريس بانتظام.

بالنسبة لتردد التلاميذ على المدرسة وسط هذه الحياة المترحلة، تعرفنا الكشوفات على التالي:

جدول 02: كشف تردد التلاميذ في المدرسة البدوية البرارشة خلال الموسم الدراسي 1896-1897:

الشهر	عدد التلاميذ المسجلين	الغيابات (عدد الغيابات ل 1/2 يوم في القسم)	المصدر
نوفمبر 1896	14	11	Fréquentation du mois de novembre 1896 , le 9 avril 1897
ديسمبر 1896	15	07	Fréquentation du mois de décembre 1896, le 9 avril 1897
جانفي 1897	18	22	Fréquentation du mois de janvier 1897, le 9 avril 1897.
فيفري 1897	18	33	Fréquentation du mois de février 1897, le 9 avril 1897.
مارس 1897	18	09	Fréquentation du mois de mars 1897, le 9 avril 1897
أفريل 1897	19	21	Fréquentation du mois d'avril 1897, le 2 mai 1897.
ماي 1897	19	46	Fréquentation du mois de mai 1897, le 31 mai 1897.

La source: ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossierinstruction publique, écolenomade, 1895-1897.

بشكل معاكس لمدرسة العلاونة ارتفع عدد المسجلين من 14 في بداية السنة الدراسية إلى 19 متمدرسا لكن مع حضور متذبذب ومعدل غيابات أكثر من مدرسة العلاونة خاصة في أشهر جانفي، فيفري، أفريل وماي، وتفسير ثبات وارتفاع المسجلين مرتبط بملازمة المدرسة لحركة الزمالة ما يجعل معدل الأطفال المترددين بثبات من أطفال الزمالة: أبناء القايد والخيالة والطالب، انضاف إليهم 04 تلاميذ إما من خيام اقتربت من الزمالة أو من أطفال لهم قرابات مع عائلات الزمالة تم إيواؤهم في إطار القرابة والرابط القبلي خاصة مع أمر السلطة القيايد بالسعي لجذب أكبر عدد ممكن من التلاميذ، أما تفسير الغياب فهو مرتبط بأشهر الشتاء والإنفضاء الشتوي الصحراوي، وأشهر الارتحال من الجنوب للشمال ودخول الحرارة وأشغال الرعي والحصاد التي يساهم فيها الأطفال، لكن وإجمالاً بقي عدد المتمدرسين ضئيلاً جداً مقارنة مع عدد سكان البرارشة (19 متمدرس لقرابة 15 ألف في 1897) (Tableaux, 1897)، أما بالنسبة لتطور مستوى التلاميذ

فإن المعلم محمد بن علي وعكس التوقعات يعرفنا مع نهاية الموسم الدراسي عن رضاه عن التطور الحاصل لدى تلامذته القلائل (Rapport, 1897).

3.3. المدرسة البدوية أولاد رشاش

رغم أننا لا نملك ملفا عن المدرسة البدوية في أولاد رشاش حيث يغيب ذكرها في تحقيقات سنوات 1881 و1906 والتي لم تحمل أي إشارة لها، إلا أن تعليمة جنرال الديفيزيون بتاريخ 29 سبتمبر 1896 عرفتنا بإنشاء مدرسة بدوية في أولاد رشاش والتي عين عليها كما ذكرنا بوسليمة مصطفى متخرج من مدرسة بوزريعة للمعلمين cours normal كمعلم أهلي ومكلف بإدارة المدرسة البدوية لأولاد رشاش المسماة خنشلة 01، وبالتأكيد سيكون واقعها ومصيرها أيضا مماثلا للمدارس البدوية في برارشة علونة (Rapport, 1896).

4. مصير المدارس وفشل التجربة

حول مصير المدارس الثلاث التي تنقطع تفاصيلها منذ نهاية الموسم الدراسي 1896-1897، فإن تطورها النهائي يعرضه لنا بالتفصيل التقرير السنوي لـ 1901:

ذكر التقرير بتاريخ إنشاء المدرستان البدويتان واحدة في برارشة والأخرى في علونة، ومقارنا إياهما بنجاح المدرسة المستقرة في نقرين والذي بدا واضحا فإنه بالمقابل تحدث عن فشل تجربة المدارس البدوية في النمامشة، والتي اعتبر إنشائها ناتج عن خطأ في المبدأ هو اليوم معروف عند الكل، فقبيلة بدوية متناثرة في مجموعات بثلاث أو أربع خيام ومتحركة تبعا للفصول وحالة المراعي وغير المتلاصقة والمتباعدة ضرورة حسب حاجات كل مجموعة، فإنه ووسط هذه الارتحالات والتنقلات غير المتوقعة والدائمة تواجد السكان المتمدرسون في مدارس بدوية ترتبط بمجموعة معينة وتتبعها في إرتحالاتها، حيث تضمن ت مدرس بعض التلاميذ من بين أطفال تلك المجموعة دون تلاميذ المجموعات الأخرى التي تجاورها خلال شهر أو أقل، هذا الذي حدث في دائرة تبسة والنمامشة إذ أن المدارس البدوية ثبتت بجوار القيادة، والمقاعد المخصصة كانت مكونة من أطفال هؤلاء الزعماء الأهالي وأبناء خيالتهم كذلك، أيضا كل واحد منهم لم يستطع أن يضمن جذب عشرة أطفال من التلاميذ تجتمع حول المعلمين عند زيارة ضابط الشؤون الأهلية، ومع أن هذه المدارس تعمل منذ عدة سنوات في الدائرة فإن النتيجة المحصلة هي مطلقا صفرية، زيادة على ذلك المعلمون الموظفون هم من السكان المستقرين من منطقة القبائل la kabylie الذين لم يتكيفوا مع الحياة البدوية تحت الخيمة، يضاف إليها أن صيانة الخيمة يفرض نفقات سنوية أعلى من صيانة مدرسة مبنية.

وحيث استمدت المدارس البدوية من واقع التجربة وتم تحويلها إلى مدارس مستقرة في كل مكان بناء على هذا الواقع أيضا، فإن التقرير طالب بإلغاء هاتين المدرستين البدويتين وتعويضهما بمدرسة مستقرة في قرية الشريعة تكون مسيرة بمعلم فرنسي يتكلم اللغة العربية يمكن أن يكتسب تأثيرا على الأهالي، مثل معلم نقرين الأوروبي طسطاس الذي نجح هو وزوجته المعلمة منذ عدة سنوات في التعليم في القرية.

وعارضا المشكل الرئيسي للمدارس البدوية: مشكل عدم القدرة على جذب التلاميذ والحفاظ على انتظامهم مفسرا ذلك بالارتحال الدائم للقبيلة (Rapport, 1901-1902)، فإن ما يشد انتباهنا هو عدم اتهام التقرير للتعصب الديني كتفسير لهذا العزوف رغم ما تبرزه دراسات كثيرة من أن الدين مثل عائقا لعمل المدارس باعتبار التعليم اللاتكي من وجهة نظر المسلمين عامل يمس الخصوصية ويمحي تعاليم الإسلام (SEKFALI, 1963; MERAD, 1993).

حسب ملاحظات فإنه لا يوجد مكان تحتل فيه المدرسة مكانة كبيرة كما تحتله في حياة القبائل المترحلة إذ يحترم البدو والمجتمعات الشفوية التعليم (Bulletin, 1892, p. 312)، ورغم إشارات تقرير معلم العالونة لحرش عن تعصب طالب القبيلة إلا أن تطمينات قليلة أفنعتة بالسماح لأطفاله من ارتياد المدرسة مما يعني أن الدين والذي يمثل الطالب لم يمثل عاملا أساسيا مباشرا لتفسير إعاقه عمل المدارس خاصة مع معلمها الأهالي وخاصة مع ضمان التعليم اللاتكي، وكما لاحظ لحرش أنه يوجد عزوف وعدم رغبة من الأهالي في بعث أطفالهم للمدرسة، فإن ذلك يرتبط بالذهنية التمردية للقبيلة ومعاداتها للسلطة بالإضافة إلى الانطلاقة الجديدة لمدارس التعليم التقليدي التي أتاحتها نص 1892 والتي يبرزها توسع عدد المدارس المسلمة المفتوحة في النمامشة منذ بداية القرن العشرين.

نهاية، وافقت اللجنة الإدارية على اقتراح إلغاء المدارس البدوية في النمامشة، وتم تعويضها بإنشاء مدرسة أساسية élémentaire مستقرة في قرية الشريعة وطلب دعم الدولة في 1902 من أجل بناء المدرسة والتي وسعت أقسامها وتمت ترقيتها (Rapport, 1901, 1902)، وستضاف إلى هذه المدرسة مدرسة فركان في 1911 لترتكز المدارس الفرنسية في نقرين والشريعة وفركان وأوكس التابعة لبلدية مرسط المختلطة وتعوض المدارس البدوية التي تم إغلاقها بعد فشل تجربتها، هذا التعويض هو أيضا متناغم مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية في القبيلة حيث نشأت مراكز استقرارية وبدأت ملامح تثبيت البدو مع بداية القرن العشرين (Rapport, 1910, 1911).

خاتمة

تبرز تجربة المدارس البدوية في بلاد النمامشة أنّ محاولات فرنسا لتوجيه التعليم وفق ظروف الحياة البدوية الرعوية لم تحقق أهدافها الإدماجية، فقد تداخلت عوامل عدة في إفشال المشروع، منها الطبيعة المترحلة للمجتمعات البدوية وضعف الإمكانيات المادية والبشرية لهذا النموذج التعليمي، ومنافسة التعليم التقليدي والخصوصيات الثقافية للقبيلة بشكل يبرز لنا أحد أوجه المقاومة الثقافية. والنتيجة أن المدرسة الاستعمارية لم تتمكن من فرض حضورها كقناة إدماج، بل بقيت تجربة محدودة ومؤقتة انتهت بإلغاء النموذج المتنقل والاتجاه نحو مدارس مستقرة افتتحت تدريجيا وعكست ملمح تحول اقتصادي-اجتماعي مع بداية القرن العشرين. وتكشف هذه التجربة عن مفارقة السياسة التعليمية الفرنسية التي قابلها واقع ميداني مغاير ما يجعل محدودية تأثير المدرسة الاستعمارية "أداة الدمج" في هذه البنيات البدوية القبلية الصلبة والتي حافظت على خصوصياتها

الثقافية إلى درجة بروزها كهوية إثنية حاضرة في تقسيم الولايات التاريخية من خلال الولاية الأولى أوراس-المامشة.

1/ المؤلفات:

أ- بالعربية:

أجبرون، ش. ر. (2007) *الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919*، الجزء الأول، ت. م. بلعربي، الجزائر: دار الرائد للكتاب.
بيار كاستل (2010) *حوز تبسة*، ت. العربي عقون، الجزائر: مطبعة بغيجة حسام.

ب- بالفرنسية:

- Bernard Augustin, L. N. (1906). *L'Evolution du nomadisme en Algérie*, Paris, Alger: Edité par A. Challamel; A. Jourdan.
- Brihmat, A. (1883). *Le décret du 13 février et les indigènes musulmans signé par A. brihmat (7 octobre 1883)*. Paris: imprimerie de l'association ouvrière P.Fontana et Cie.
- Collot, C. (1987). *les institutions musulmans durant la période coloniale*. France: Edition du CNRS.
- M.P.Ménerville. (1867). *dictionnaire de la législation Algérienne* (Vol. V.1.1830-1860, deuxième édition). Paris: Durand libraire-éditeur.
- Robert Estoublon, A. L. (1896). *Code de l'Algérie annoté*. Alger: Adolphe Jourdan libraire.

2/ الأطروحات:

-SEKFALI, C. . (1993.). *Les maîtres de l'école primaire de l'enseignement public dans le Département de Constantine*, de 1890 à 1939, . Thèse de Doctorat d'état. Aix-en-Provence.

3/ المقالات:

- Bernard, A. (1884). *L'instruction des indigènes algériens et le décret du 13 février 1883*. Revue pédagogique, premier semestre 1884.
- Bisquerra, C. (2014). « Les « écoles indigènes » en Algérie à la fin du XIXe siècle : l'expérience de maîtres français et indigènes dans le sud-est algérien au cours des années 1895-1897 », Documents pour l'histoire du français langue étrangère ou seconde. ([En ligne], 27 | 2001, mis en ligne le 31 janvier 2014, consulté le 27 mai 2021.). [En ligne].
- MERAD, A. (1963). « *Regard sur l'enseignement des Musulmans en Algérie, 1880-1960* » . Confluent, 32-33.
- Scheer, M. (1892). *Rapport de M. Scheer sur l'école nomade des Aoulad Lahouar*. Bulletin universitaire de l'académie d'Alger, 4 Emme année, juin 1890,(N.32).

- Rapport. (1910, 1911). ANOM, GGA, 6k25, dossier division de Constantine, cercle de Tébessa, administration et comptabilité, rapport annuel 1910-1911. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (22 septembre 1882). ANOM, GGA, B N.6K2, dossier division de Constantine, cercle de Tébessa, rapport 22 septembre 1882. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1897). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, correspondance de l'inspecteur primaire, batna le 5 mai 1897. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, inspection académique de Constantine, instruction publique a M.le commandant supérieur de Tébessa, 25 juillet 1896. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1896-1897). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, Les lettres des instituteurs indigènes des écoles nomades des Allaouna et Brarchas 1896-1897. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, correspondance d'inspection primaire de Batna, 25 septembre 1896 . AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, correspondance d'inspection primaire de Batna, 25 septembre 1896 et 30 octobre 1896 et 1 novembre 1896. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, correspondance d'inspection primaire de Batna, 30 octobre 1896 et 1 novembre 1896. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, correspondance d'inspection primaire de Batna, 30 octobre 1896 et 1 novembre 1896. Et lettre de l'instituteur indigène de l'école des allaounas le 13 septembre 1896. . AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, correspondance de l'instituteur de Négrine, le 28/05/1896. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, correspondance du Général commandant la Subdivision de Batna, au commandant supérieur, le 29 septembre 1896. . AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, correspondance du Général commandant la Subdivision de Batna, au commandant supérieur, le 29 septembre 1896. . AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, correspondance du Général commandant la Subdivision de Batna, au commandant supérieur, le 29 septembre 1896. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, correspondance du Général commandant la Subdivision de Batna, au commandant

supérieur, le 29 septembre 1896. AIX EN PROVENCE: ANOM.

-Rapport. (1897). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, école nomade des Allaounas Fréquentation du mois de 31 janvier 1897. ET correspondance d'inspection primaire de Batna, 07 mai 1897. AIX EN PROVENCE: ANOM.

-Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, et correspondance d'inspection primaire de Batna, 17 octobre et 28 novembre 1896. AIX EN PROVENCE: ANOM.

-Rapport. (1897). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, lettre de l'instituteur indigène de l'école des allaouna le 13 janvier 1897. AIX EN PROVENCE: ANOM.

-Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, lettre de l'instituteur indigène de l'école des allaouna 31 décembre 1896. . AIX EN PROVENCE: ANOM.

-Rapport. (1897). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, lettre de l'instituteur indigène de l'école des allaouna 4, 9 et 19, 23 janvier 1897. . AIX EN PROVENCE: ANOM.

-Rapport. (1897). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, lettre de l'instituteur indigène de l'école des Brarchas : 11 décembre 1896, 6 janvier, 19 février, 15 mars, 13 mai 1897. . AIX EN PROVENCE: ANOM.

-Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, lettre de l'instituteur indigène de l'école des Brarchas 04 décembre 1896. AIX EN PROVENCE: ANOM.

-Rapport. (1897). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, lettre de l'instituteur indigène de l'école des Brarchas 13 mai 1897. AIX EN PROVENCE: ANOM.

-Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, lettre de l'instituteur indigène de l'école des Brarchas et allaounas le 12 novembre 1896. AIX EN PROVENCE: ANOM.

-Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, correspondance du Général commandant la Subdivision de Batna, au commandant supérieur, le 29 septembre 1896. AIX EN PROVENCE: ANOM.

-Rapport. (1896). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, lettre de Caid Allaouna 24 juillet 1896, et Caid Brarcha 25 juillet 1896. AIX EN PROVENCE: ANOM.

-Rapport. (1901, 1902). ANOM, GGA, B.N. 22K8, dossier division de Constantine, subdivision de Batna, cercle de Tébessa, rapports annuels, rapport annuel 1901, 1902. AIX EN PROVENCE: ANOM.

-Rapport. (1901-1902). ANOM, GGA, B.N. 22K8, dossier division de Constantine, subdivision de Batna, cercle de Tébessa, rapports annuels, rapport annuel 1901, 1902. AIX EN PROVENCE: ANOM.

- Rapport. (1878-1879). ANOM, GGA, B.N. 40k 203-205, **situation des écoles de Tébessa pendant l'année scolaires 1878-1879**. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1873). ANOM, GGA, B.N. 58 k 30, **division de Constantine, subdivision de Constantine, cercle de Tébessa, administration et comptabilité, instruction publique, rapports sur l'écoles arabe-française 1865-1873, rapport le 03 janvier 1873**. . AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1861). ANOM, GGA, B.N. 58 K10, **division de Constantine, subdivision de Constantine, cercle de Tébessa, inspection général, rapport d'ensemble, 1861**. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1854). ANOM, GGA, B.N. 6k 16, **division de Constantine, subdivision de Constantine, cercle de Tebessa, rapports mensuels, rapport décembre 1854**. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1881). ANOM, GGA, B.N. 6K18, **rapport annuel 1881**, . AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1882-1887)**. ANOM, GGA, B.N. 6K18, rapport trimestriel 1882-1887, . AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapport. (1881). ANOM, B.N. 93206/42 C.M. Khenchela, **progrès moraux et matériels des indigènes: rapport d'enquêtes établies par année par le commandant en chef du cercle de Khenchela puis par l'administrateur (1881,1912,1927), rapport 1881**. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapports. (1896-1897). ANOM, GGA, B.N. 22k10_11: **dossier instruction publique, école nomade, 1895-1897, lettre de l'instituteur indigène de l'école des allaounas, 11 novembre 1896. Et lettre de l'instituteur indigène de l'école des Brarchas, 23 octobre 1896**. Et dossier commune. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapports. (1854-1866). ANOM, GGA, B.N. 58 K10, **division de Constantine, subdivision de Constantine, cercle de Tebessa, inspection général, rapport d'ensemble, 1854-1866**. AIX EN PROVENCE: ANOM.
- Rapports. (1853-1858). ANOM, GGA, B.N. 6k 16, **division de Constantine, subdivision de Constantine, cercle de Tebessa, rapports mensuels et trimestriels, 1853-1858**. AIX EN PROVENCE: ANOM, GGA.
- Rapports. (1890-1894). ANOM, GGA, B.N. 6K18, rapport annuel 1890-1891 et 1893-1894. . AIX EN PROVENCE: ANOM.

ب-المنشورات:

- bulletin. (1866)**. bulletin administratif de l'instruction publique (Vol. n.123).
- Bulletin. (1892). **Bulletin universitaire de l'académie d'Alger**. Bulletin universitaire de l'académie d'Alger, 6 Emme année, janvier 1892.
- Tableaux. (1897). **les tableaux généraux des communes de plein exercice, mixtes et indigènes**, 1 janvier 1897.